

شعر يزيد بن الطثرية

ناقد: القیسی،نوری حمودی
میان رشته ای :: العرب :: السنة الثامنة، محرم و صفر 1394 - الجزء 7 و 8
از 570 تا 575
آدرس ثابت : http://www.noormags.com/view/fa/articlepage/644451

شعر يزيد بن الطثرية

في محاولة من محاولات إحياء التراث يقدم الاستاذ حاتم الضامن شعر يزيد ابن الطثرية بمساعدة وزارة الاعلام العراقية ، وقدمته دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ويقع الديوان في مائة وثمان وعشرين صفحة ، وقد طبع في مطبعة أسعد ببغداد .

ويزيد من الشعراء المقدمين عند بني أميّة وهو من الشعراء المطبوعين الفصحاء، يوصف بوفرة المروءة ، لا يُعاب ولا يُطعن عليه ، له مكانة مرموقة في قومه لأصالة نسبه ، وعراقة محتده ...

ويقترن ذكر يزيد بالشعراء المتيّمين الذين عرفوا بالحب ، وشُهروا به ، ولعل الحب الحاد ، والشعور بمرارته ، والإحساس بما يعانيه العاشق ، هو الباعث الحقيقي الذي حرّك فيه نوازع الهوى ، وحمله على إظهار مشاعره الرقيقة ، ولا نغالي إذا قلنا إن كثيراً من أخباره وأخبار حُبّه قد شابهـا الخلط حتى أصبحت أقرب إلى أحاديث جميل وقيس وكثير وتوبة ، وهي أحاديث تتسم بالمغالاة ، ويغلب عليها طابع المأساة ، ويتخللها الشعور بالشفقة لأولئك الذين انقطعت بهم الوسائل ، وضاقت عليهم مسالك الحياة ، فاستسلموا لجبروتها، وخضعوا لسلطانها فكانوا نماذج للتضحية، وصوراً للموقف الإنساني النبيل أمام المشاعر الوجدانية الأصيلة ...

وفي قصائد يزيد نَفَس يقرب من هذا ، وبين طوايا أحاسيسه ملامح توشك أن تكون ذات صلة بأحاسيس أولئك ، ولم يكن ذلك غريباً فجميعهم يحسون بإحساس واحد ، ويتحملون أعباء واحدة ، ويبذلون من التضحية ما يجعلهم في مصاف واحد . ومن الجائز أن تكون هذه المظاهر المشتركة هي التفسير الوحيد لاختلاط شعره بغيره من الذين اتخذوا لأنفسهم هذا الطريق ، فكتب عليهم الشقاء الذي يستحيل عندهم إلى راحة . أمثال ابن الدمينة ، وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح ومزاحم العقيلي وعروة بن حزام وغير هؤلاء.

إن العمل الذي قدمه الاستاذ حاتم عمل قيّم لأنه يعد إضافة جديدة إلى الإضافات التي يساهم بها الفضلاء من العلماء ، ليغنوا هذا التراث بما غاب عنه وأصبح في معزل عن تياراته الدافقة .

والجهد المبذول في اخراج الديوان يُدرك من عملية الاحصاء الواسعة التي زخر بها الديوان والمراجع المهمة التي قاربت الثلثمائة مصدر وفيها من المجلدات ما يضيق بتقليبها الدارس ، وعمل الاستاذ الضامن يلوح عليه الاستغراق الزمني لأنني أعرف المدة التي قضاها في جمعه واخراجه ولا بد ان تصاحب هذا العمل بعض الهنات التي لا تشين وجه الكاعب الحسناء وسأحاول حصرها في ملاحظات بسيطة :

(١) المقدمة التي قدم بها الشعر يغلب عليها الجانب التاريخي ، ويأخذ السرد فيها طابعاً واضحاً ، وكان بودي أن ينتفع الاستاذ حاتم من المادة المتعلقة بحياته والتي زخر بها الشعر حتى تأتي الدراسة متكاملة لأن الغرض من نشر الشعر هو ايضاح الجوانب التي تعجز الأخبار عن استيفائها وتقصر عن الوصول اليها ، فإذا توفرت مثل هذه المادة فإنها تعطي الباحث قدرة على التحرك ، وتضع بين يديه الوسائل التي تعينه على الكتابة ، وتوفر له من الحجج ما يساعده في اثبات أو نقض ما يؤمن به أو يخالفه .. إلى جانب المسائل الفنية الأخرى المتعلقة بمنهج الشاعر وأسلوبه ومدى ما قدمه من صور جديدة وصيغ متأثرة ، واتجاه شعري .. هذه الخصائص كلها يمكن الانتفاع منها من خلال القصائد التي تنفع الباحث وتيسر له بحثه ..

(٢) ظاهرة اختلاط شعره .. وهي ظاهرة بارزة ومتميزة ، حتى بلغ عدد القطع التي اشترك في نسبتها مع غيره من الشعراء ثمانياً وعشرين مقطوعة. وهي عدد كبير بالنسبة لعدد قصائد الديوان وتكاد تشكل ثلث قصائده .. ولا بد ان يكون لهذا الاختلاط اسباب تتصل كما اشرت سابقا بطبيعة حياته ، ونمط سلوكه في العشق ، وانطباع شعره بطبائع شعرية معينة ، واكتسابها لوناً عاطفياً موحداً ، وقد تكون اسباب أخرى تختفي وراء هذا الاختلاط ومن المفيد أن يتعرض الاستاذ المحقق إلى الاشارة إلى هذه الظاهرة ، وتقديم

الاسباب التي خلقت هذا الاختلاط ، وادّت إلى هذا التشابه باعتباره عاصر الشاعر فترة طويلة ، وقرأ اخباره قراءة مستفيضة،وأدرك العلاقة التي يشترك فيها مع غيره من الشعراء .

(٣) ترتيب تخريج الابيات . المألوف في تخريج الابيات ان يبدأ بالابيات الأولى ثم يعرض للابيات التي تليها حتى تنتهي القصيدة ، وهو ترتيب منطقي يعطي الدارس فكرة عن تسلسل الابيات ، والمصادر التي عرضت لها والذي وجدته عند الاستاذ حاتم هو مغاير لهذا الترتيب . وسأعرض نموذجاً للقطعة رقم (٢) من الديوان كما أوردها الاستاذ حاتم :

البيتـــان ٤ ، ٧ في الوحشيات ١٩٣١ وعيون الاخبار ٣/١٠١ والشعر والشعراء ٣٤١والعقد الفريد ٢/١٦٣ وهما بلا عزو في الامالي ١/٢٢ والامتاع والمؤانسة ٢/١٧٢ والابيات ٢ — ٤ في الزهرة ١١٣ والابيات ١ — ٢ ، ٤ — ٨ في السمط ١٠٣ ،

٣ — ٧ في الوفيات ٥/٤١٢ والرابع مع بيتين بلا عزو في تمام المتون ١٠١ ٨،٧ في ريحانة الألياف ٢/٤٦٠ لزياد بن زيد .

والذي اراه أن يصبح الترتيب الآتي :

الابيات (١ ، ٢ ، ٤ — ٨) في السمط ١٠٣

والابيات (٢ — ٤) في الزهرة ١١٣ والابيات (٣ — ٧) في الوفيـــات ٥/٤١٢ والرابع معبيتين بلا عزو(لم يثبتها الاستاذ حاتم فيالاصل وانما وضعها في الهامش . وارى ان تثبت ويشار الى ذلك في الهامش) في تمام المتون ١٠١

والبيتان (٤ ، ٧) في الوحشيات ١٩٣ الخ ...

والبيتان (٨،٧) في ريحانة الالباء ٢ / ٤٦٠ لزياد بن زيد .

وهو ترتيب منطقي ومعقول وأراه افضل من الطريقة التي سلكها الاستاذ حاتم ويمكن تكرار هذه الملاحظة في عدد آخر من القطع وعلى سبيل المثال القطعة رقم ١٢ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٤٤ .

(٤) في الديوان أبيات وجدت مفردة في مصادر قديمة ، وكثيراً ما ترد هذه الابيات خالية من التقديم ، ونادراً ما يقدم لها بما ينفع ، وقد وجدت

الاخ الكريم المحقق يسقط هذا التقديم ولو ثبت لكانت فيه فائدة كما هو الحال في القطعة رقم [٧] وهي بيت واحد وهو ـ وقد ذكر ولم يقدم له بشيء ـ :

كأنّ حَيرِيّةً غَيرَى مُلاحيّةً باتت تؤزّ به من تحته القُضُبا

وقد وجدت صاحب «لسان العرب» وهو أحد مراجع الأخ حاتم يقدم له بقوله : قال ابن الطثرية يصف البرق . وهو قول ينتفع منه في شرح البيت..

(٥) وردت في الأشعار أسماء لأعلام وقد كرر بعضها ، وهم أعلام لهم صلة في حياته مثل (ميّاد) الذي كان يذهب بألباب نسوة الشاعر ، ونسوة مياد صحيح قلوبهـا .. وقطري (في القطعة ٣٤) و (بوزل الذي تكرر ذكره في ثلاث قطع : (١٥ ، ٥٤ ، ٦١) ويبدو أن بوزلاً هذا كان من أصحابه ولائميه .. هذه الأعلام تمكس فيما وردت فيـه من قصائد الصلة الحقيقيـة التي كانت تربطهم بالشاعر فإذا أضيفت إلى بعضها قدمت مادة جديدة أخرى إلى المواد التي يقدمها شعره .

(٦) الأبيات المفردة ، في أصل الديوان سبعة عشر بيتـاً مفرداً تشكل سبع عشرة مقطوعة وهي أبيات توحي بأنها جزء من مقطوعة ، وهذا يعني أن هذه الأبيات المفردة تعني أن سبع عشرة قصيدة ضائعة لم يعثر منهـا إلا على هذا البيت اليتيم ، وهو استدلال منطقي واضح في إبراز ظاهرة الضياع التي لحقت بالشعر العربي بصورة عامة وبالشعر الأموي بشكل خاص ، وكان بودي أن يشار إلى هذه الظاهرة الواضحة في شعر هذا الشاعر .

(٧) ترد في الديوان أبيات ومقطوعات متفرقة ، وقد التزم المحقق الفاضل بوضعها وهي مفردة على الرغم من أن أوجهاً كثيرة تؤيد كونها قطعة واحدة ، وكنت أرى أن يشار إلى هذا التشابه في الهامش ليقف القارىء على الوحدة الموضوعية التي تتخلل الأبيات ، والمحقق أقدر على إدراك هذه الوحدة . كما هو الحال بالنسبة للمقطوعات (١٧ ، ١٨ ، ١٩) والمقطوعات (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧) فهي تبدو وكأنها قطعة واحدة . سيما وأن القطعة (١٩) مثلاً فيها أداة شرط في البيت الثاني وهو الأخير ولم نجد جوابـه ، وإذا عدنا إلى القطعة (١٨) نحس بأن البيت الثالث منهـا وكأنه الجواب الحقيقي لهذا

الشرط ، وأكرر قولي من أن إبقاءها كما ثبتهـــا المحقق هو الطريق السليم في عملية التحقيق ولكن الإشارة إلى وحدتهـــا في الهامش له أهميته ووجاهته عند الباحثين .

(٨) يورد الاستاذ حاتم القصائد التي تنسب للشاعر ولغيره بلا تعليق أو أو تحديد وهو يكتفي بذكر المراجع التي اوردت القطعة وفيها ما فيها من اختلاف ، والاوفق في مثل هذه الأحوال هو محاولة ترجيح النسبة إذا وجد ما يدعو إلى الترجيح واسقاطها إذا لم يُعثر على ما يؤيد نسبتها الى الشاعر . وهي مهمة لا يستطيع القيام بها إلا المحقق الفاضل الذي خبر اسلوب الشاعر وعرف طريقته واهتدى إلى عبارته المألوفة .

(٩) وردت في اللسان شروح قديمة لبعض الابيات مثل البيت الثاني من القطعة (٤٤) والبيت المفرد في القطعة [٥] من الشعر المنسوب ليزيد ولغيره من الشعراء والبيت الثاني من القطعة [٢٨] من الشعر المنسوب ليزيد ولغيره من الشعراء ، وهي شروح نافعة وربما تكون قديمة لشارح شرح ديوان يزيد . واری أن ينتفع من مثل هذه الشروح لانها تحدد المعاني الواردة في الابيات وتقف عند المطلوب منها ، وفي شرحها يأخذ البيت وضعه الطبيعي.

(١٠) أعود للمقدمة التي عرض فيها الأخ المحقق بعض صفات الشاعر ، ولم يوضح لنا موقفه منها ، ففي الصفحة التاسعة وفي الهامش رقم (٦) يذكر قولاً مفاده ان الشاعر كان عنيناً لا يأتي النساء وليس له عقب . وهو قول له خطورته بالنسبة لشاعرنا الذي ذكر انه كان يحتال في زيارة صاحبته ويلح في ذلك حتى تدخلت الدولة ، وان شعره ينطق بحبه العارم ، وتعلقه الشديد وقد عرف بين القدامى بانه أحد من تيمهم الحب حتى عده الوشاء بـــين من شهروا بالصبوة والغزل من شعراء العرب ، وقرنه ابن شرف بالقيسيين وجميل. إذا كان الشعر معروفاً عند معاصريه ومن جاء بعده بهذه الصفات فكيف يوفق بين هذين الرأيين ؟؟.

وكذلك حديث الاخ حاتم عن شجاعة ابن الطثرية الذي وصف بانه من أشجع الناس ، وقاتل في كثير من الغزوات وقطعت يده في إحدى هـــذه

الغزوات . اقول:ذكرها الاستاذ المحقق ولم يؤيدها بنماذج من شعره أو ينفيها إذا لم يجد ما يؤيدها .. لأن حادثة مثل هذه لا يمكن ان تمر دون ان نجد لها دليلاً من شعره يرثيها أو يحزن لها أو يشعر بفائدتها ..

إن الجهد الكبير الذي بذله المحقق الكريم في تصحيح مسودات الديوان لم تنقذه من آفات المطابع فجاءت اسماء بعض البحور تحمل آثار أوهـــام الطباعة فقد تبدل البحر الطويل الذي جاءت عليه القطعة رقم (٢٤) الى الكامل والكامل الذي جاءت عليه القطعة رقم (٣٠) الى الطويل وكذلك القطعة رقم (٦٢) والوافر الذي جاءت عليه القطعة رقم (٢٠) الى الرجز (من الشعر المنسوب له ولغيره) والطويل الذي جاءت عليه القطعة رقم (٢١) الى الكامل (من الشعر المنسوب له ولغيره)وسقط اسم البحر الذي جاءت عليه القطعة رقم [٤٥] ..

ولعله من الصدف أن اعثر على بيتين جديدين لابن الطثرية في لسان العرب اخبرني الاخ حاتم بان الأول مذكور عنده ولكن الطباعة تجاوزته وهما :

أثيبي اخا ضارورة أصفق العدا عليه وقلّت في الصديق أواسره

وهو في اللسان [صفق] .

فلو كنت أدري أن ما كان كائن وان جديد الوصل قد جُدّ غابره

وهو في اللسان [كون] .

إن هذه الملاحظات التي ارتأيتها وانا أطالع الديوان لا تقلل من أهميـــة العمل الذي قام به الاستاذ حاتم ، ولا يضعف من متانة التحقيق العلمي الذي انتهجه المحقق الفاضل ، فهو عمل طيب ومحاولة كريمة في هذا المجال ، وإذا قدر لهذه الملاحظات ان تأخذ مكانها بين ثنايا العمل لوجدت - كما أرى - مكاناً مناسباً ، وساهمت مساهمة أخرى في تعضيد العمل العلمي الجيد .

وللأخ المحقق تحياتي ورجائي وهو يساهم في أكثر من عمل ويخلص في اكثر من علم ، ويسعى في أكثر من مكان لخدمة العربية التي باركها الله في كتابه والسلام .

الدكتور نوري حمودي القيسي